التحذير الجلل من الاغترار بالعمل

إعداد وترتيب : محمد يماني .

مقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا , من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له , وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى و خير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه و آله وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

قال الله تعالى :

[يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون [1]]

[يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء , واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام , إن الله كان عليكم رقيبا [2]]

[يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما [3]]

دعا الإسلام إلى العمل وحث عليه فقال تعالى : {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } [التوبة: 105]

وقرنه بالإيمان في أكثر من آية فقال تعالى : { وَالْعَصْرِ (*) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (*) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ } [العصر : 1-3]

واعتبره سببا لدخول الجنة فقال تعالى : { وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } [الأعراف: 43]

---

[1] _ سورة آل عمران آية 102 .
[2] _ سورة النساء آية 1 .
[3] _ سورة الأحزاب آية 9 .

لكنه حذر من التعويل عليه وحده دون الاعتماد على فضل الله تعالى ورحمته . قال صلى الله عليه وسلم : " لن يُدخِل أحدا منكم عملُه الجنةَ ، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه بفضل ورحمة [4] " .

فالمؤمن الذي وفقه الله هو الذي يعمل العمل ويجتهد غير أنه لا يتكل عليه ؛ فهو يرجو رحمة الله ويحذر الآخرة كما قال تعالى : {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ} [الزمر: 9]

إذن المؤمن الموفق هو الذي يعيش بين الرجاء والخوف : فهو يعمل الطاعات ويجتهد فيها لكنه لا يتكل عليها لكي لا يصيبه الغرور فيحبط عمله . إنه يعمل بجد ويحسن الظن بالله تعالى ؛ ويعتقد جازما أن التوفيق والسداد من الله تعالى .

قال تعالى : { ... وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} [هود: 88]

وقال : {فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [البقرة: 64]

وقال كذلك : {... وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عليم } [النور: 21]

و يحسن بالعبد الصالح أن يقترن الخوف والرجاء عنده بأمر ثالث وهو التذكير بمغفرة الله تعالى ورحمته الواسعة التي وسعت كل شيء ؛ وحسن الظن بالله تعالى ونعمه الكثيرة على عباده، كما في قوله تعالى :

{ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } [الزمر: 53]

وقوله تعالى :{غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ} [غافر:3]

وقوله تعالى : { وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى } [طه: 82]

---

[4] - أخرجه البخاري (5673) ومسلم (2816) (75) وأحمد في مسنده 7587

إذن يكون المؤمن في حالة خوف ورجاء وانتظار المغفرة والرحمة من الله تعالى ؛ وهذا ما سأوضحه في هذا البحث المتواضع إن شاء الله تعالى ؛ لكي يتدرب المؤمن على مواصلة العبادة الصحيحة ويجني ثمارها في الدنيا والآخرة ؛ ولكي لا يتكل على عمله القاصر ولا يغتر به لأنه قد يكون غير مقبول أو يكون غير كاف لشكر النعم التي أنعم الله بها على عباده ؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم :" اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ، وَلَنْ يُحَافِظَ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ " [5].

وسميت هذا البحث : التحذير الجلل من الاغترار بالعمل

وقد قسمته إلى ما يلي :

1- شرح حديث " إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُوَ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّهُ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ "
- استخراج الفوائد منه .
- شرح " العمل وحده لا يجعل العبد مستحقا للجنة ؛ موجبا لها ".

- كَيْفَ الْجَمْعُ بَيْنَ هَذَا الحديث وقَوْله تَعَالَى «ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ»

2- سرد أحاديث ذات صلة بالموضوع ؛ مع شرحها شرحا يسيرا واستخراج الفوائد منها .
3- مواقف السلف من سوء الخاتمة وهول المطلع .

أرجو من الله تعالى أن أوفق في هذا العمل كما أطلب منه سبحانه وتعالى أن ينفع به كل من قرأه , وأن يجعل ثواب ذلك في صحيفتي قبل وبعد مماتي ؛ وأن يتغمد والدَي بالرحمة وكذلك من تبناني ورباني وكل من علمني وساعدني ؛ ومن كان سببا في هذا البحث ... والحمد لله رب العالمين .

وكتبه راجي عفو ربه يومه فاتح محرم الحرام 1441

الموافق لفاتح شتنبر 2019

الدار البيضاء المملكة المغربية حرسها الله تعالى من كل مكروه .

---

[5] -أخرجه أحمد ط الرسالة (37/ 60)رقم 22378 وابن ماجة 277

صحيح [صحيح وضعيف سنن ابن ماجة (1/ 349)، المشكاة (292) ، الإرواء (412) ، الروض النضير (177 و 178) ، صحيح الترغيب والترهيب (192) ، المساجلة العلمية (17)]

حديث الرجل الذي يعمل عمل أهل الجنة وهو من أهل النار ...

قال صلى الله عليه وسلم :

(إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ , وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ , وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ . وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ . ثُمَّ أَمَرَ بِلَالًا فَنَادَى بِالنَّاسِ : " إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ ")

سبب ورود الحديث

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيَّ - رضي الله عنه - قَالَ: (" الْتَقَى رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - وَالْمُشْرِكُونَ يَوْمَ خَيْبَرَ فَاقْتَتَلُوا , فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - إِلَى عَسْكَرِهِ " , وَمَالَ الْآخَرُونَ إِلَى عَسْكَرِهِمْ - وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - رَجُلٌ لَا يَدَعُ لَهُمْ شَاذَّةً وَلَا فَاذَّةً [6] إِلَّا اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ - فَقَالَ رَجُلٌ: مَا أَجْزَأَ[7] مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلَانٌ , فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: " أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ " .

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ: لَأَتَّبِعَنَّهُ [8]. فَلَمَّا حَضَرَ الْقِتَالُ خَرَجَ مَعَهُ , فَكَانَ كُلَّمَا وَقَفَ , وَقَفَ مَعَهُ , وَإِذَا أَسْرَعَ , أَسْرَعَ مَعَهُ , فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا ؛ فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ الَّذِي قُلْتَ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟ , فَإِنَّهُ قَدْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللهِ الْيَوْمَ قِتَالًا شَدِيدًا وَقَدْ مَاتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: " إِلَى النَّارِ ", قَالَ: فَكَادَ بَعْضُ النَّاسِ أَنْ يَرْتَابَ , فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ قِيلَ: إِنَّهُ لَمْ يَمُتْ , وَلَكِنَّ بِهِ جِرَاحًا شَدِيدًا، فَلَمَّا كَانَ مِنْ اللَّيْلِ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى أَلَمِ الْجِرَاحِ ؛ فَاسْتَعْجَلَ

---

[6] - الشَّاذَّة: مَا انْفَرَدَ عَنْ الْجَمَاعَةِ، وَالفاذَّة: مِثْلُهُ مَا لَمْ يَخْتَلِط بِهِمْ، ثُمَّ هُمَا صِفَة لِمَحْذُوفٍ أَيْ: نَسَمَة، وَالْهَاء فِيهِمَا لِلْمُبَالَغَةِ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ لَا يَلْقَى شَيْئًا إِلَّا قَتَلَهُ، وَقِيلَ: الْمُرَاد بِالشَّاذِّ وَالْفَاذِّ: مَا كَبُرَ وَصَغُرَ.

وَقِيلَ: الشَّاذُّ: الْخَارِجُ , وَالْفَاذُّ: الْمُنْفَرِدُ. وَقِيلَ: هُمَا بِمَعْنَى. فتح الباري (ج 12 / ص 23)

[7] - أجزأ : أَيْ: مَا أَغْنَى.

[8] - لأتبعنه : أَيْ: أَنَا أَصْحَبُهُ فِي خُفْيَة , وَأُلَازِمُهُ لِأَنْظُر السَّبَبَ الَّذِي بِهِ يَصِيرُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ , فَإِنَّ فِعْلَه فِي الظَّاهِر جَمِيل , وَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّار، فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ سَبَبٍ عَجِيبٍ. شرح النووي (1/ 226)

الْمَوْتَ, فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ , وَذُبَابَهُ [9] بَيْنَ ثَدْيَيْهِ , ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ فَاشْتَدَّ رِجَالٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ [10] فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ , صَدَّقَ اللهُ حَدِيثَكَ , انْتَحَرَ فُلَانٌ فَقَتَلَ نَفْسَهُ ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: " اللهُ أَكْبَرُ , أَشْهَدُ أَنِّي عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ ؛ **(إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ [11] وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ , وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ , وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ .وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ .** ثُمَّ أَمَرَ بِلَالًا فَنَادَى بِالنَّاسِ **: " إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ ")** [12].

وفي رواية: (قم يا فلان فأذن أنه لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مُؤْمِنٌ ؛ إِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ [13] ")

هذا الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد والسير تحت باب لاَ يَقُولُ فُلاَنٌ شَهِيدٌ [14] وباب إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر [15] وفي كتاب المغازي باب غزوة خيبر [16] .

وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان تحت باب غِلَظ تحريم قتل الإنسان نفسه [17].وفي كتاب القدر باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه [18] .

شرح الحديث:

قَوْله : (وَفِي أَصْحَاب رَسُول الله، صلى الله عَلَيْهِ وَسلم رجل) ، واسْمه قزمان وَهُوَ مَعْدُود فِي الْمُنَافِقِين، وَكَانَ تخلف يَوْم أحد فَعَيَّرَهُ النِّسَاء وقلن لَهُ: مَا أَنْت إِلَّا امْرَأَة، فَخرج فَكَانَ أول من رمى بِسَهْم ثمَّ كسر جفن سَيْفه . ونادى : يَا آل الْأَوْس قَاتلُوا على الأحساب، فَلَمَّا خرج مر بِهِ قَتَادَة بن النُّعْمَان فَقَالَ لَهُ : هَنِيئًا لَك الشَّهَادَة ، فَقَالَ : إِنِّي وَالله مَا قَاتَلت على دين، مَا قَاتَلت إِلاَّ على الْحفاظ، ثمَّ قتل نَفسه، فَقَالَ رَسُول الله، صلى الله عَلَيْهِ وَسلم : إِن الله ليؤيد هَذَا الدّين بِالرجلِ الْفَاجِر .

---

[9] - ذبابه : أيْ: رأس سيفه.

[10] - اشتدَّ: أسرع المشي , ركض.

[11] - قوله: " فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ " إشارةٌ إلى أنَّ باطنَ الأمْرِ يكونُ بِخِلافِ ذلك. جامع العلوم والحكم - (ج 6 / ص 30)

[12] - أي: مؤمن خالص , احترازا عن المنافق , أو مؤمن كامل , فالمراد: دخولها مع الفائزين دخولا أَوَّلِيًّا غير مسبوقٍ بعذاب. المرقاة (17/ 148)

[13] - المراد بالفاجر: الفاسق , إن كان الرجل مسلما حقيقة , أو الكافر , إن كان منافقا. فيض القدير - (ج 2 / ص 329)

[14] - 2898

[15] - 3062

[16] - 4202 ؛ 4203 ؛ 4207

[17] - 179 (112)

[18] 12 (112) .

قَوْله: (لَا يدع لَهُم شَاذَّة ولا فاذة) أي لَا يبقي شَيْئا إِلَّا أَتَى عَلَيْهِ،

قَوْله: (وذبابه) ذُبَاب السَّيْف طرفه الَّذِي يضْرب بِهِ، وَقَالَ ابْن فَارس: ذُبَاب السَّيْف حَده.

قَوْله: (ثمَّ تحامل) ، أَي: مَال، يُقَال: تحاملت على الشَّيْء إِذا تكلفت الشَّيْء على مشقته.

قَوْله: (فِيمَا يَبْدُو) أَي: فِيمَا يظْهر.

قَالَ الْكرْمَانِي: فَإِن قلت : الْقَتْل هُوَ مَعْصِيّة وَالْعَبْد لَا يكفر بالمعصية فَهُوَ من أهل الْجنَّة لِأَنَّهُ مُؤمن؟ قلت: لَعَلَّ رَسُول الله، صلى الله عَلَيْهِ وَسلم، علم بِالْوَحْي أَنه لَيْسَ مُؤمنا، أَو أَنه سيرتد حَيْثُ يسْتَحل قتل نَفسه، أَو المُرَاد من كَونه من أهل النَّار: أَنه من العصاة الَّذين يدْخلُونَ النَّار ثمَّ يخرجُون مِنْهَا. انْتهى.

قلت [19]: " لَو اطلع الْكرْمَانِي على أَنه كَانَ معدوداً فِي الْمُنَافِقين ، أَو على قَوْله : ما قَاتَلت على دين، لما تكلّف بِهَذِهِ الترديدات ".

فوائد الحديث

- فِيهِ: لَا يُقَال فلَان شَهِيد، يَعْنِي: على سَبِيل الْقطع، إلاَّ فِيمَا ورد بِهِ الْوَحْي [20].

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ عنِ النَّبِيِّ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: الله أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ الله أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ [21] .

- وَفِيه: صدق الْخَبَر عَمَّا يكون ؛ وَخُرُوجه على مَا أخبر بِهِ الشَّارِع، وَهُوَ من عَلَامَات النُّبُوَّة.

- وَفِيه: زِيَادَة تطمين فِي قُلُوب الْمُؤمنِينَ، أَلاَ ترى أَن الرجل حِين رأى أَنه قتل نَفسه، قَالَ:

حين أخبر بِهِ الرَّسُول صلى الله عَلَيْهِ وَسلم : أشهد أَنَّك لرَسُول الله.

- وَفِيه : أَن الاعتبار بالخواتيم وبالنيات.

---

[19] - القائل بدر الدين العيني مؤلف عمدة القاري شرح صحيح البخاري (14/ 181) "

[20] - وبناء على هذا: لا يقال اليوم لكل من أعدم أو اغتيل في أمور سياسية شهيد وقد يكون علمانيا لا يصلي ولا يدين بدين .

[21] - جزء من حديث أخرجه البخاري (4/ 15)رقم 2787 –عن أبي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَثَلُ المُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ، كَمَثَلِ الصَّائِمِ القَائِمِ، وَتَوَكَّلَ اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِهِ، بِأَنْ يَتَوَفَّاهُ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، أَوْ يَرْجِعَهُ سَالِمًا مَعَ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ»

ويؤيده حديث أنس [22] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا عليكم أن لا تعجبوا بأَحَد، حتى تنظروا بم يُختم له، فإن العامل يعمل زمانا من عمره، أو برهة من دهره، بعمل صالح، لو مات عليه دخل الجنة، ثم يتحول فيعمل عملا سيئا، وإن العبد ليعمل البرهة من دهره بعمل سيئ، لو مات عليه دخل النار، ثم يتحول فيعمل عملا صالحا، وإذا أراد الله بعبد خيرا استعمله قبل موته "، قالوا: يا رسول الله وكيف يستعمله؟ قال " يوفقه لعمل صالح، ثم يقبضه عليه "

- وَفِيه : أَن الله يُؤَيّد دينه بِالرجلِ الْفَاجِر [23].

- وفِيهِ التَّحْذِير مِنْ الِاغْتِرَار بالعمَلِ، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ لَا يَتَّكِل عَلَيْه وَلَا يَرْكَن إِلَيْه , مَخَافَةً مِنْ اِنْقِلَاب الْحَال , لِلْقَدَرِ السَّابِقِ مِنَ اللهِ , وَكَذَا يَنْبَغِي لِلْعَاصِي أَنْ لَا يَقْنَط, وَيَنْبَغِي لِغَيْرِهِ أَنْ لَا يُقَنِّطَهُ مِنْ رَحْمَةِ الله تَعَالَى.[24] قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ وَلَوْ يُعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ من جنته أحد»[25]

- وفيه أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ .

- فيه غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه . قال صلى الله وسلم : « مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا»[26]

قال ابن رجب الحنبلي [27] :"

وقوله: (فيما يبدو للناس) إشارةٌ إلى أنَّ باطنَ الأمر يكونُ بخلافِ ذلك، وإنَّ خاتمة السُّوءِ تكونُ بسبب دسيسةٍ باطنة للعبد لا يطلع عليها الناس، إما من جهة عمل سيئ ونحو ذلك، فتلك

---

[22] - رواه أحمد (19/ 246) رقم 12214 – قال محققو المسند : إسناده صحيح على شرط الشيخين.

[23] - عمدة القاري شرح صحيح البخاري (14/ 181)

[24] - النووي (1/ 226)

[25] -أخرجه مسلم 23 - (2755)

[26] - أخرجه أخرجه البخاري (7/ 139)رقم5778 ومسلم في الإيمان باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه. . رقم 175 (109) ومعنى : (تردى) أسقط نفسه. (خالدا مخلدا فيها أبدا) المراد بالخلود والتأبيد المكوث الطويل أو الاستمرار الذي لا ينقطع ويكون ذلك في حق من استحل قتل نفسه. (تحسى) شرب وتجرع. (يجأ) يطعن ويضرب]

[27] - جامع العلوم والحكم ت ماهر الفحل (1/ 180)

الخصلة الخفية توجب سُوءَ الخاتمة عند الموت، وكذلك قد يعمل الرجلُ عملَ أهل النَّارِ وفي باطنه خصلةٌ خفيةٌ من خصال الخير، فتغلب عليه تلكَ الخصلةُ في آخر عمره، فتوجب له حسنَ الخاتمة.

وهذا ما أشار إليه ابن حجر حيث قال في هذه النازلة [28]:"هو محمول على المنافق والمرائي ".

قَالَ الْمُهَلَّبُ: هَذَا الرَّجُلُ مِمَّنْ أَعْلَمَنَا النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - أَنَّهُ نَفَذَ عَلَيْهِ الْوَعِيدُ مِنْ الْفُسَّاقِ , وَلَا يَلْزَمُ مِنْهُ أَنَّ كُلَّ مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ يُقْضَى عَلَيْهِ بِالنَّارِ.

وَقَالَ ابْنُ التِّينِ: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: " هُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ " أَيْ: إِنْ لَمْ يَغْفِرْ اللهُ لَهُ.

ومن نظائره: من يصنِّف , أو يدرِّس , أو يُعَلم , أو يتعلم , أو يؤذن , أو يؤم , أو يأتم , وأمثال ذلك , كمن يبني مسجدا , أو مدرسة , لغرضٍ فاسد , وقصدٍ كاسد , مما يكون سببًا لِنِظَام الدين , وقِوَامِ المسلمين , وصاحبُه من جملة المحرومين , جعلنا الله تعالى من المُخْلِصين , بل من المُخْلَصين. [29]

[28] - فتح الباري لابن حجر (11/ 487)

[29] - نقلا من مرقاة المفاتيح (ج 17 / ص 148)

العمل وحده لا يجعل العبد مستحقا للجنة وموجبا لها

حديث ليس أحد منكم بمنجيه عمله :

عَنْ هَمَّامٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - **«لَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِمُنْجِيهِ عَمَلُهُ[30] وَلَكِنْ سَدِّدُوا وَقَارِبُوا: قَالُوا وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ وَفَضْلٍ»** [31].

وعند البخاري [32] زيادة :" **واغْدُوا ورُوحُوا وشَيْءٌ مِن الدُّلْجَةِ والقَصْدَ القَصْدَ، تَبْلُغُوا)** .

وعنده زيادة أخرى [33]:" **فَسَدِّدُوا وقارِبُوا وَلَا يَتَمَنَّيَنْ أحَدُكُمُ المَوْتَ إمَّا مُحْسِناً فَلَعَلَّهُ أنْ يَزْدَادَ خَيْراً، وإمَّا مُسِيئاً فَلَعَلَّهُ أنْ يَسْتَعْتِبَ.**

شرح الحديث :

قوله : (بمنجيه عمله) عمله وحده لا ينجيه ؛ ولا يجعله مستحقا للجنة وموجبا لها ؛ لأنه لا يقابل شيئا من نعم الله عز وجل على الإنسان ؛ وإنما هو سبب لتفضل الله عز وجل بذلك .

قوله (فسددوا) اطلبوا السداد وهو الصواب وَذَلِكَ بَيْنَ الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ لَا غُلُوَّ وَلَا تَقْصِيرَ

قوله : (قاربوا): أَيْ إِنْ عَجَزْتُمْ عَنْ السَّدَادِ أي الكمال والصواب فَقَارِبُوهُ أَيْ اقْرَبُوا مِنْهُ، وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ فِي حَدِيثٍ آخَرَ «اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا» [34] أَيْ (لن تحصوا) وُجُوه الِاسْتِقَامَةِ ؛ فَغَايَةُ الْأَمْرِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَى مُقَارَبَةِ الِاسْتِقَامَةِ . وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْقُرْطُبِيُّ[35] سَدِّدُوا فِي الْأَعْمَالِ أَيْ

---

[30] - قَوْلُهُ «بِمُنْجِيهِ» يَجُوزُ فِيهِ إسْكَانُ النُّونِ وَتَخْفِيفُ الْجِيمِ وَفَتْحُ النُّونِ وَتَشْدِيدُ الْجِيمِ يُقَالُ نَجَاهُ وَأَنْجَاهُ يَتَعَدَّى بِالْهَمْزِ وَالتَّضْعِيفِ.انظر طرح التثريب في شرح التقريب (8/ 241)

[31] - أخرجه البخاري 5673 وفي مواضع أخرى ومسلم 71 ؛ 72 ؛ 73 ؛ 74 ؛ 75 ؛76 (2816)

[32] - رقم 6463

[33] - رقم 5673

[34] أخرجه أحمد ط الرسالة (37/ 61) رقم 22378 وابن ماجه (277) عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ، وَلَنْ يُحَافِظَ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ "

(صحيح) ...ورد عن ثوبان [أحمد ابن ماجه والحاكم والبيهقي] وعن ثوبان [ابن ماجة والطبراني] وعن سلمة بن الأكوع [الطبراني] انظر : المشكاة 292 المساجلة العلمية 17، الإرواء 412. و انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته (1/ 225)

[35] - عمدة القاري شرح صحيح البخاري (21/ 227)

اعْمَلُوهَا مُسَدَّدَةً لَا غُلُوَّ فِيهَا وَلَا تَقْصِيرَ وَقَارِبُوا فِي أَزْمَانِهَا بِحَيْثُ لَا يَكُونُ فِيهَا قَصِيرٌ وَلَا طَوِيلٌ انْتَهَى.

- قَوْلُهُ « وَلَا أَنْتَ » قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْقُرْطُبِيُّ كَأَنَّهُ وَقَعَ لَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِعِظَمِ مَعْرِفَتِهِ بِاَللَّهِ وَكَثْرَةِ عِبَادَاتِهِ أَنَّهُ يُنْجِيهِ عَمَلُهُ فَرَدَّ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ذَلِكَ وَسَوَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ الْمَعْنَى وَأَخْبَرَ أَنَّهُ عَنْ فَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ لَا يَسْتَغْنِي.

وقال الرافعي في أماليه :" لما كان أجر النبي صلى الله عليه وسلم في الطاعة أعظم وعمله في العبادة أقوم قيل له ولا أنت أي لا ينجيك عملك مع عظم قدره فقال لا ؛ إلا برحمة الله " [36].

- قَوْلُهُ « إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ » أَيْ يُلْبِسُنِيهَا وَيَغْمُرُنِي فِيهَا وَمِنْهُ غَمَدْتُ السَّيْفَ وَأَغْمَدْتُهُ إِذَا جَعَلْته فِي غِمْدِهِ وَسَتَرْتُهُ بِهِ. [37]

(إما محسنا) إما يكون محسنا فيزداد ببقائه حيا .

(فلعله) بحياته .

(يستعتب) يتوب ويرد المظالم ويطلب رضا الله عز وجل ومغفرته . وقيل : يرجع عن الإساءة ويطلب الرضا .

وقيل هو من الاستعتاب وَهُوَ طلب زَوَال العتب، وَهُوَ استفعال من الإعتاب الَّذِي الْهمزَة فِيهِ للسلب لَا من العتب وَهُوَ من الغرائب، أَو من العتبى وَهُوَ الرِّضَا، يُقَال: استعتبته فأعتبني أَي: استرضيته فأرضاني. قَالَ الله عز وَجل: {وَإِن يستعتبوا فَمَا هم من المعتبين} (فصلت: 24) وَالْمَقْصُود يطْلب رضَا الله بِالتَّوْبَةِ ورد الْمَظَالِم.

(اغدوا) من الغدو وهو السير أول النهار. (روحوا) من الرواح وهو السير في النصف الثاني من النهار.

(الدلجة) السير آخر الليل.والمراد إيقاع العبادة في هذه الأوقات أو إيقاعها في أوقات النشاط وفراغ القلب لطاعة الله تعالى كما يستعين المسافر على قطع المسافة بالسير في هذه الأوقات

---

[36] - نقلا من فتح الباري لابن حجر (11/ 297)

[37] شرح النووي على مسلم (17/ 159-162) و طرح التثريب في شرح التقريب (8/ 240-241) للعراقي بتصرف يسير

(وَالْقَصْد الْقَصْد) بِالنّصب على الإغراء أَي: إلزموا الطَّرِيق الْوسط المعتدل تبلغوا الْمنزل الَّذِي هُوَ مقصدكم، شبه المتعبدين بالمسافرين.

(تبلغوا) مقصدكم وبغيتكم .

فَوَائِدُ الحديث :

- فيه : العمل وحده لا يجعل العبد مستحقا للجنة موجبا لها لأنه لا يقابل شيئا من نعم الله عز وجل على الإنسان ؛ وإنما هو سبب لتفضل الله عز وجل بذلك .

قال الرافعي [38]:"في الحديث إن العامل لا ينبغي أن يتكل على عمله في طلب النجاة ونيل الدرجات لأنه إنما عمل بتوفيق الله وإنما ترك المعصية بعصمة الله . فكل ذلك بفضله ورحمته ."

- فيه : مَذْهَبُ أهل السنة أنه لا يثبت بالعقل ثواب ولا عقاب ولا إيجاب ولا تحريم ولا غيرها من أنواع التكليف ولا تثبت هذه كلها ولا غيرها إلا بالشرع [39].

- فيه : " اللَّهَ تَعَالَى لَا يَجِبُ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ الْأَشْيَاءِ لَا ثَوَابٌ وَلَا غَيْرُهُ بَلْ الْعَالَمُ مُلْكُهُ وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ فِي سُلْطَانِهِ يَفْعَلُ فِيهِمَا مَا يَشَاءُ . فَلَوْ عَذَّبَ الْمُطِيعِينَ وَالصَّالِحِينَ أَجْمَعِينَ وَأَدْخَلَهُمْ النَّارَ كَانَ عَدْلًا مِنْهُ . وَإِذَا أَكْرَمَهُمْ وَنَعَّمَهُمْ وَأَدْخَلَهُمْ الْجَنَّةَ فَهُوَ بِفَضْلٍ مِنْهُ ؛ وَلَوْ نَعَّمَ الْكَافِرِينَ وَأَدْخَلَهُمْ الْجَنَّةَ كَانَ لَهُ ذَلِكَ ؛ لَكِنَّهُ أَخْبَرَ - وَخَبَرُهُ صِدْقٌ - أَنَّهُ لَا يَفْعَلُ هَذَا بَلْ يَغْفِرُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَيُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ وَيُعَذِّبُ الْكَافِرِينَ وَيُدْخِلُهُمْ النَّارَ عَدْلًا مِنْهُ ؛ فَمَنْ نَجَا وَدَخَلَ الْجَنَّةَ فَلَيْسَ بِعَمَلِهِ لِأَنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِعِلمِهِ [40] شَيْئًا وَإِنَّمَا هُوَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ .

وهذا مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ ؛ وَذَهَبَتْ الْمُعْتَزِلَةُ إلَى إيجَابِ ثَوَابِ الْأَعْمَالِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَحَكَّمُوا الْعَقْلَ وَأَوْجَبُوا مُرَاعَاةَ الْأَصْلَحِ [41].

---

[38] - فتح الباري لابن حجر 11/297

[39] -شرح النووي 17/159-160

[40] - لعل الصواب (بعمله) والله أعلم

[41] -شرح النووي على صحيح مسلم 17/160 وطرح التثريب 8/240.

- فيه : الحض على الرِّفْق فِي الْعَمَل لقَوْله عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام: (اكلفوا من الْعَمَل مَا تطيقون[42]) وَقَالَ الْخطابِيّ : هَذَا أَمر بالاقتصاد وَترك الْحمل على النَّفس، لِأَن الله تَعَالَى إِنَّمَا أوجب عَلَيْهِم وظائف من الطَّاعَات فِي وَقت دون وَقت تيسيراً وَرَحْمَة.

- فيه : التَّنْبِيه على أَوْقَات النشاط . لِأَن الغدو والرواح والإدلاج أفضل أَوْقَات الْمُسَافِر وأوقات نشاطه ، بل على الْحَقِيقَة : الدُّنْيَا دَار نقلة وَطَرِيق إِلَى الْآخِرَة، فَنَبَّه أمته أَن يغتنموا أَوْقَات فرصتهم وفراغهم [43].

- فيه : الدعوة إلى الوسطية والاعتدال فقوله : (وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ) بِالنّصْب على الإغراء يعني : إلزموا الطَّرِيق الْوسط المعتدل تبلغوا الْمنزل الَّذِي هُوَ مقصدكم، شبه المتعبدين بالمسافرين. فَقَالَ: لَا تستوعبوا الْأَوْقَات كلهَا بالسير بل اغتنموا أَوْقَات نشاطكم وَهُوَ أول النَّهَار وَآخره ، وَبَعض اللَّيْل وارحموا أَنفسكُم فِيمَا بَينهمَا لِئَلَّا يَنْقَطِع بكم، قَالَ الله تَعَالَى: {أَقِمِ الصَّلَاة طرفِي النَّهَار وَزلفًا من اللَّيْل} (هود: 411) [44]. فقد مر رسول الله على رجل يصلي على صخرة فأتى ناحية مكة ؛ فمكث مليا ثم انصرف ؛ فوجد الرجل يصلي على حاله ؛ فقام فجمع يديه ثم قال :" أيها الناس عليكم بالقصد – ثلاثا – فإن الله لا يمل حتى تملوا " [45].

---

[42] -أخرجه ابن ماجة 4240 عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" اكلفوا من العمل ما تطيقون فإن خير العمل أدومه وإن قل. ".
صحيح،[صحيح أبي داود (1238) و صحيح وضعيف سنن ابن ماجة (9/ 240، بترقيم الشاملة آليا)]

[43] - انظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري (1/ 239) للعيني

[44] - عمدة القاري شرح صحيح البخاري (23/ 64)

[45] - أخرجه ابن ماجه 4241 وهو حديث صحيح [التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (1/ 380)

((الصحيحة)) (1760). صحيح وضعيف سنن ابن ماجة (9/ 241، بترقيم الشاملة آليا)]

الْجَمْعُ بَيْنَ هَذَا الحديث والآية { اُدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ }:

كيف الجمع بين هذا الحديث (ليس أحد منكم بمنجيه عمله ...) وَبَيْنَ قَوْله تَعَالَى «اُدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ»[46] وقَوْله تَعَالَى { وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } [الزخرف: 72] وَنَحْوِهِمَا مِنْ الْآيَاتِ الظَّاهِرَةِ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ؟.

_ الجواب : " مَعْنَى الْآيَاتِ أَنَّ **دُخُولَ الْجَنَّةِ بِسَبَبِ الْأَعْمَالِ، ثُمَّ التَّوْفِيقُ لِلْأَعْمَالِ وَالْهِدَايَةِ لِلْإِخْلَاصِ فِيهَا وَقَبُولِهَا بِرَحْمَةِ اللَّهِ** وَفَضْلِهِ فَيَصِحُّ أَنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ بِمُجَرَّدِ الْعَمَلِ، وَهُوَ الْمُرَادُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ وَغَيْرِهِ وَيَصِحُّ أَنَّهُ دَخَلَ بِالْأَعْمَالِ أَيْ بِسَبَبِهَا وَهِيَ مِنْ الرَّحْمَةِ وَاَللَّهُ أَعْلَمُ ".

وقال القسطلاني في "إرشاد الساري" [47] :" **الدخول (أي إلى الجنة) إنما هو برحمة الله واقتسام المنازل فيها بالأعمال،** فإن درجات الجنة متفاوتة بحسب تفاوت الأعمال،

فإن قلت: قوله تعالى: (سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) [النحل: 32] ، مصرح بأن دخول الجنة أيضا بالأعمال . أجيب بأنه لفظ مجمل بينه الحديث، والتقدير: ادخلوا منازل الجنة وقصورها بما كنتم تعملون، فليس المراد بذلك أصل الدخول.

ولخص ابن الجوزي ذلك في أربعة أجوبة :

- الأول أن التوفيق للعمل من رحمة الله ولولا رحمة الله السابقة ما حصل الإيمان ولا الطاعة التي يحصل بها النجاة .

- الثاني أن منافع العبد لسيده ؛ فعمله مستحق لمولاه فمهما أنعم عليه من الجزاء فهو من فضله

- الثالث جاء في بعض الأحاديث أن نفس دخول الجنة برحمة الله واقتسام الدرجات بالأعمال -

-الرابع أن أعمال الطاعات كانت في زمن يسير والثواب لا ينفد ؛ فالإنعام الذي لا ينفد في جزاء ما ينفد بالفضل لا بمقابلة الأعمال" [48].

وذُكِرَ في ذلك أوجهٌ أخرى، انظر "فتح الباري"لابن حجر [49].

---

[46] - جزء من الآية : { الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [النحل: 32]

[47] - 267/9

[48] - فتح الباري لابن حجر (11/ 296)

[49] - 297-295/11

نصوص ذات صلة

1- حديث : إن أحدكم يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ فِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا ...

عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ : **" إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ فِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ، فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، """"حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ، وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ ، فَيُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا "** [50].

فوائد الحديث :

في هذا الحديث فوائد كثيرة اخترت منها ما يلي :

- فيه أن السعادة والشقاوة بحسب خواتيم الأعمال. وقد قيل: إن قوله في آخر الحديث " «فوالله الذي لا إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة» " إلى آخر الحديث مدرج من كلام ابن مسعود، كذلك رواه سلمة بن كهيل عن زيد بن وهب، عن ابن مسعود من قوله، قد روي هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه متعددة أيضا.[51]

- فيه إثبات القدر كما هو مذهب أهل السنة وأن جميع الواقعات بقضاء الله تعالى وقدره خيرها وشرها ؛ نفعها وضرها . قال الله تعالى : {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ } [الأنبياء: 23].

ولا اعتراض عليه في ملكه يفعل في ملكه ما يشاء. قال الإمام السمعاني:

---

[50] - أخرجه أحمد في المسند ط الرسالة (6/ 125) رقم 3624 والبخاري (3208) و (3332) و (6594) و (7454) ، ومسلم (2643)

[51] - جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط (1/ 169)

" سبيل معرفة هذا الباب التوقيف من الكتاب والسنة دون محض القياس والعقل فمن عدل عن التوقيف فيه ضل وتاه في بحار الحيرة ولم يبلغ شفاء العين ولا ما يطمئن به القلب لأن القدر سر من أسرار الله تعالى اختص العليم الخبير به وضرب دونه الأستار وحجبه عن عقول الخلق ومعارفهم لما علمه من الحكمة فلم يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب . وقيل إن سر القدر ينكشف لهم إذا دخلوا الجنة ولا ينكشف لهم قبل دخولها " انتهى

وقد ثبتت الأحاديث بالنهي عن ترك العمل اتكالاً على ما سبق من القدر بل تجب الأعمال والتكاليف التي ورد بها الشرع وكل ميسر لما خلق له لا يقدر على غيره فمن كان من أهل السعادة يسره الله لعمل أهل السعادة ومن كان من أهل الشقاوة يسره الله لعمل أهل الشقاوة كما في الحديث [52] وقال الله تعالى: { فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى } [الليل: 5 - 10]

قال العلماء: وكتاب الله تعالى ولوحه وقلمه كل ذلك مما يجب الإيمان به، وأما كيفية ذلك وصفته فعلمه إلى الله تعالى لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء. والله أعلم[53]

- وفيه : أن خلق السمع والبصر يقع والجنين داخل بطن أمه .

- وفيه القسم على الخبر الصدق تأكيدا في نفس السامع

- وفيه إشارة إلى علم المبدأ والمعاد وما يتعلق ببدن الإنسان وحاله في الشقاء والسعادة

- وفيه أن السعيد قد يشقى وأن الشقي قد يسعد لكن بالنسبة إلى الأعمال الظاهرة وأما ما في علم الله تعالى فلا يتغير .

- وفيه أن الاعتبار بالخاتمة . قال ابن أبي جمرة نفع الله به :" هذه التي قطعت أعناق الرجال مع ما هم فيه من حسن الحال لأنهم لا يدرون بماذا يختم لهم ".

---

[52] - عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الغَرْقَدِ، فَأَتَانَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ، فَنَكَّسَ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلاَ نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ العَمَلَ؟ فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، قَالَ: «أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ» ثُمَّ قَرَأَ: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالحُسْنَى} [الليل: 6] الآيَةَ

أخرجه البخاري 1362 ومسلم في القدر باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابه ورزقه. . رقم 2647
(مخصرة) ما يتوكأ عليه من عصا (أعطى واتقى) أعطى الطاعة واتقى المعصية أي جاهد نفسه فبذل الطاعة واجتنب المعصية.

[53] - شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد 1/39-40

- وفيه أن عموم مثل قوله تعالى { من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم }الآية مخصوص بمن مات على ذلك . وأن من عمل عمل السعادة وختم له بالشقاء فهو في طول عمره عند الله شقي وبالعكس ؛ وما ورد مما يخالفه يؤول إلى أن يؤول إلى هذا وقد اشتهر الخلاف في ذلك بين الأشعرية والحنفية وتمسك الأشاعرة بمثل هذا الحديث وتمسك الحنفية بمثل قوله تعالى { يمحو الله ما يشاء ويثبت } وأكثر كل من الفريقين الاحتجاج لقوله والحق أن النزاع لفظي وأن الذي سبق في علم الله لا يتغير ولا يتبدل وأن الذي يجوز عليه التغيير والتبديل ما يبدو للناس من عمل العامل . ولا يبعد أن يتعلق ذلك بما في علم الحفظة والموكلين بالآدمي فيقع فيه المحو والإثبات كالزيادة في العمر والنقص وأما ما في علم الله فلا محو فيه ولا إثبات والعلم عند الله .

- وفيه التنبيه على صدق البعث بعد الموت لأن من قدر على خلق الشخص من ماء مهين ثم نقله إلى العلقة ثم إلى المضغة ثم ينفخ الروح فيه قادر على نفخ الروح بعد أن يصير ترابا ويجمع أجزاءه بعد أن يفرقها ولقد كان قادرا على أن يخلقه دفعة واحدة ولكن اقتضت الحكمة بنقله في الأطوار رفقا بالأم لأنها لم تكن معتادة فكانت المشقة تعظم عليها فهيأه في بطنها بالتدريج إلى أن تكامل ومن تأمل أصل خلقه من نطفة وتنقله في تلك الأطوار إلى أن صار إنسانا جميل الصورة مفضلا بالعقل والفهم والنطق كان حقا عليه أن يشكر من أنشأه وهيأه ويعبده حق عبادته ويطيعه ولا يعصيه .

- وفيه أن الأعمال سبب دخول الجنة أو النار ولا يعارض ذلك حديث لن يدخل أحدا منكم الجنة عملُه لما تقدم من الجمع بينهما في شرحه في باب القصد والمداومة على العمل من كتاب الرقاق[54]

- وفيه أن من كتب شقيا لا يُعلم حالُه في الدنيا وكذا عكسه واحتج من أثبت ذلك بما سيأتي قريبا من حديث علي [55] أما من كان من أهل السعادة فإنه ييسر لعمل أهل السعادة الحديث ؛ وحديث (أنتم شهداء الله في الأرض ..)[56]

---

[54] -لخص ابن الجوزي ذلك في أربعة أجوبة : الأول أن التوفيق للعمل من رحمة الله ولولا رحمة الله السابقة ما حصل الإيمان ولا الطاعة التي يحصل بها النجاة الثاني أن منافع العبد لسيده فعمله مستحق لمولاه فمهما أنعم عليه من الجزاء فهو من فضله الثالث جاء في بعض الأحاديث أن نفس دخول الجنة برحمة الله واقتسام الدرجات بالأعمال الرابع أن أعمال الطاعات كانت في زمن يسير والثواب لا ينفد فالإنعام الذي لا ينفد في جزاء ما ينفد بالفضل لا بمقابلة الأعمال". فتح الباري لابن حجر (11/ 296)

[55] - سبق تخريجه قريبا أعلاه

[56] -عن عَبْدِ العَزِيزِ بْنِ صُهَيْبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: مَرُّوا بِجَنَازَةٍ، فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَجَبَتْ» ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ: «وَجَبَتْ» فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ

- وفيه الحث على الاستعاذة بالله من سوء الخاتمة وقد عمل به جمع جم من السلف وأئمة الخلف.

- وفيه أن قدرة الله تعالى لا يوجبها شيء من الأسباب إلا بمشيئته ؛ فإنه لم يجعل الجماع علة للولد ؛ لأن الجماع قد يحصل ولا يكون الولد حتى يشاء الله ذلك .

- وفيه أن الشيء الكثيف يحتاج إلى طول الزمن بخلاف الشيء اللطيف ؛ ولذلك طالت المدة في أطوار الجنين حتى حصل تخليقه بخلاف نفخ الروح ؛ ولذلك لما خلق الله الأرض أولا عمد إلى السماء فسواها وترك الأرض لكثافتها بغير فتق ثم فتقتا معا ؛ ولما خلق آدم فصوره من الماء والطين تركه مدة ثم نفخ فيه الروح " [57].

2- قصة الراهب برصيصا :

قال ابن جرير[58] حدثني يحيى بن ابراهيم المسعودي حدثنا أبي عن أبيه عن جده عن الأعمش عن عمارة عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية **{ {كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ} [الحشر : 16 ، 17] قال ابن مسعود : وكانت امرأة ترعى الغنم وكان لها إخوة أربعة ، وكانت تأوي بالليل إلى صومعة راهب . قال : فنزل الراهب ففجر بها فحملت فأتاه الشيطان فقال له : اقتلها ثم ادفنها فإنك رجل مصدق يسمع قولك فقتلها ، ثم دفنها قال : فأتى الشيطان إخوتها في المنام فقال لهم : إن الراهب صاحب الصومعة فجر بأختكم فلما أحبلها قتلها ، ثم دفنها في مكان كذا وكذا ، فلما أصبحوا قال رجل منهم : والله لقد رأيت البارحة رؤيا ما أدري أقصها عليكم أم أترك ؟ قالوا : لا بل قصها علينا ، قال : فقصها فقال الآخر : وأنا والله لقد رأيت ذلك فقال الآخر : وأنا والله لقد رأيت ذلك قالوا : فوالله ما هذا إلا لشيء فانطلقوا فاستعدوا ملِكَهم على ذلك الراهب فأتوه فأنزلوه ، ثم انطلقوا به فأتاه الشيطان فقال : إني أنا الذي أوقعتك في هذا ، ولن ينجيك منه**

عَنْهُ: مَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: «هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا، فَوَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا، فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ» أخرجه البخاري 1397 ومسلم في الجنائز باب فيمن يثني عليه خير أو شر من الموتى رقم 949

[57] - منقول من فتح الباري لابن حجر 11/596-598

[58] - تفسير الطبري (33/28) .و تفسير ابن كثير ت سلامة (8/ 76)

رويت القصة بعدة صيغ. قال الإمام ابن كثير في تفسيره (4/ 298): وقد ذكر بعضهم ها هنا قصة لبعض عبّاد بني إسرائيل... اشتهر عند كثير من الناس أن هذا العابد هو برصيصًا، فالله أعلم. اهـ

غيري فاسجد لي سجدة واحدة وأنجيك مما أوقعتك فيه ، قال : فسجد له ، فلما أتوا به ملكهم تبرأ منه وأخذ فقتل ، وهكذا روي عن ابن عباس ، وطاوس ، ومقاتل بن حيان ، نحو ذلك .

3- الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسا ثم تاب ودخل الجنة .

عن أبي سعيد مرفوعا : **"أن رجلا قتل تسعة وتسعين نفسا ثم عرضت له التوبة فسأل عن أعلم أهل الأرض؟ فدل على راهب فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة؟ فقال: لا فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض؟ فدل على رجل عالم فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ قال: نعم ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبا مقبلا بقلبه إلى الله تعالى وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرا قط فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال: قيسوا بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو لها فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة".**[59]

فوائد الحديث [60]:

- في الحديث مشروعية التوبة من جميع الكبائر حتى مِنْ قتْل الأنفس ويحمل على أن الله تعالى إذا قبل توبة القاتل تكفل برضا خصمه .

- وفيه إشارة إلى قلة فطنة الراهب لأنه كان من حقه التحرز ممن اجترأ على القتل حتى صار له عادة بأن لا يواجهه بخلاف مراده وأن يستعمل معه المعاريض مداراةً عن نفسه هذا لو كان الحكم عنده صريحا في عدم قبول توبة القاتل فضلا عن أن الحكم لم يكن عنده إلا مظنونا - وفيه أن الملائكة الموكلين ببني آدم يختلف اجتهادهم في حقهم بالنسبة إلى من يكتبونه مطيعا أو عاصيا وأنهم يختصمون في ذلك حتى يقضي الله بينهم .

- وفيه فضل التحول من الأرض التي يصيب الإنسان فيها المعصية لما يغلب بحكم العادة على مثل ذلك إما لتذكره لأفعاله الصادرة قبل ذلك والفتنة بها . وإما لوجود من كان يعينه على ذلك ويحضه عليه ولهذا قال له الأخير ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء ففيه إشارة إلى أن

---

[59] رواه البخاري 3470 مسلم في صحيحه 46 ؛ 47 - (2766).
[60] - منقولة من فتح الباري لابن حجر 6/ (517-518)

التائب ينبغي له مفارقة الأحوال التي اعتادها في زمن المعصية والتحول منها كلها والاشتغال بغيرها .

- وفيه فضل العالم على العابد لأن الذي أفتاه أولا بأن لا توبة له غلبت عليه العبادة فاستعظم وقوع ما وقع من ذلك القاتل من استجرائه على قتل هذا العدد الكثير وأما الثاني فغلب عليه العلم فأفتاه بالصواب ودله على طريق النجاة .

- قال عياض : وفيه أن التوبة تنفع من القتل كما تنفع من سائر الذنوب وهو وإن كان شرعا لمن قبلنا وفي الاحتجاج به خلاف لكن ليس هذا من موضع الخلاف لأن موضع الخلاف إذا لم يرد في شرعنا تقريره وموافقته أما إذا ورد فهو شرع لنا بلا خلاف ومن الوارد في ذلك قوله تعالى { إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء }[61] وحديث عبادة بن الصامت ففيه بعد قوله ولا تقتلوا النفس وغير ذلك من المنهيات (فمن أصاب من ذلك شيئا فأمره إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه) متفق عليه [62]

قلت ويؤخذ ذلك أيضا من جهة تخفيف الآصار عن هذه الأمة بالنسبة إلى من قبلهم من الأمم فإذا شرع لهم قبول توبة القاتل فمشروعيتها لنا بطريق الأولى ...

- وفيه أن للحاكم إذا تعارضت عنده الأحوال وتعددت البينات أن يستدل بالقرائن على الترجيح

---

[61] - سورة النساء آية 48

[62] - عن عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ شَهِدَ بَدْرًا وَهُوَ أَحَدُ النُّقَبَاءِ لَيْلَةَ العَقَبَةِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ، وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: «بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلاَ تَسْرِقُوا، وَلاَ تَزْنُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ ، وَلاَ تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلاَ تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ فَهُوَ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ» فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ
أخرجه البخاري 18 ...و مسلم في الحدود باب الحدود كفارات لأهلها رقم 41(1709) .

4- المرأة البغي التي سقت كلبا من بئر:

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ، كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ»** [63]

قَوْله: (يطِيف) بِضَم أَوله من أطاف يطِيف بعنى: طَاف يطوف طوفاً، وَهُوَ الدوران حول الشَّيْء. قَوْله: (بركية) بِفَتْح الرَّاء وَكسر الْكَاف وَتَشْدِيد الْيَاء آخر الْحُرُوف: وَهِي الْبِئْر مطوية كَانَت أَو غير مطوية، وَغير المطوية يُقَال لَهَا: جب، وقليب، وَقيل: الركي، الْبِئْر قبل أَن تطوى، فَإِذا طويت فَهِيَ الطوى. قَوْله: (بغي) بِفَتْح الْبَاء الْمُوَحدَة وَكسر الْغَيْن الْمُعْجَمَة وَتَشْدِيد الْيَاء: وَهِي الزَّانِيَة، وَتجمع على: بَغَايَا، قَوْله: (موقها) بِضَم الْمِيم وَسُكُون الْوَاو وَفِي آخِره قَاف، قَالَ بَعضهم: هُوَ الْخُف. قلت: لَا بل الموق هُوَ الَّذِي يلبس فَوق الْخُف وَيُقَال لَهُ: الجرموق أَيْضا وَهُوَ فَارسي مُعرب .

(فغفر لها) ما سبق منها من الزنا. (به) بسبب سقيها له .[64]

الفوائد المستنبطة من الحديث [65]**:**

- فِيهِ الْإِحْسَان إِلَى كل حَيَوَان بسقيه أَو نَحوه، وَهَذَا فِي الْحَيَوَان الْمُحْتَرَم، وَهُوَ مَا لَا يُؤمر بقتْله

[أما المأمور بقتله فيمتثل أمر الشرع في قتله . والمأمور بقتله كالكافر الحربي والمرتد والكلب العقور والفواسق الخمس المذكورات في الحديث [66]وما في معناهن . وأما المحترم فيحصل

---

[63] - أخرجه البخاري 3467 ومسلم 155(2245) وَقد مضى فِي كتاب الشّرْب عَن أبي هُرَيْرَة نَحْو هَذَا، وَلَكِن الْقَضِيَّة للرجل، وَكَذَا وَقع فِي الطَّهَارَة فِي شَأْن الرجل. قَالَ بَعضهم: يحْتَمل تعدد الْقَضِيَّة. قلت: بل يقطع بِأَنَّهُ قضيتان: إِحْدَاهمَا للرجل، الْأُخْرَى: للْمَرْأَة، وَإِنَّمَا يُقَال: يحْتَمل تعدد الْقَضِيَّة أَن لَو كَانَت لوَاحِد، فَافْهَم.

[64] - عمدة القاري شرح صحيح البخاري (16/ 54)

[65] - عمدة القاري شرح صحيح البخاري (43/3)لبدر الدين العيني

[66] - عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " خمس فواسق يقتلن في الحرم: العقرب، والفأرة، والحديا، والكلب العقور، والغراب "

.

أخرجه البخاري (1829) ، ومسلم (1198) (71) وأحمد في مسنده ط الرسالة (40/ 57)رقم 24052

الثواب بسقيه والإحسان إليه أيضا بإطعامه وغيره سواء كان مملوكا أو مباحا وسواء كان مملوكا له أو لغيره والله أعلم][67]لقوله صلى الله عليه وسلم «في كل كبد رطبة أجر»[68]

- فِيهِ حرْمَة الْإِسَاءَة إِلَيْهِ [أي الحيوان]، وإثم فَاعله، فَإِنَّهُ ضد الْإِحْسَان الْمُؤَجّر عَلَيْهِ، وَقد دخلت تِلْكَ الْمَرْأَة النَّار فِي هرة حبستها حَتَّى مَاتَت [69].

- قَالَ بعض الْمَالِكِيَّة: أَرَادَ البُخَارِيّ بإيراد هَذَا الحَدِيث طَهَارَة سُؤْر الْكَلْب، لِأَن الرجل مَلأ خفه وسقاه بِهِ، وَلَا شكّ أَن سؤره بَقِي فِيهِ.

- يفهم مِنْهُ [من الحديث] وجوب نَفَقَة الْبَهَائِم الْمَمْلُوكَة على مَالِكهَا بِالْإِجْمَاع.

5- أخوان في الله أحدهما عابد والآخر مسرف على نفسه ؛

حلف العابد أن لا يدخل المسرف الجنة ؛ فأدخل الله العابد النار والمذنب الجنة .

عن جُنْدَبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَدَّثَ **" أَنَّ رَجُلًا قَالَ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ "** أَوْ كَمَا قَالَ [70] " .

(يتألى) معنى يتألى يحلف والألية اليمين .

وفي الباب عَنْ ضَمْضَمِ بْنِ جَوْسٍ الْيَمَامِيِّ ، قَالَ: قَالَ لِي أَبُو هُرَيْرَةَ: يَا يَمَامِيُّ، لَا تَقُولَنَّ لِرَجُلٍ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لَكَ، أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللهُ الْجَنَّةَ أَبَدًا. قُلْتُ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، إِنَّ هَذِهِ لَكَلِمَةٌ يَقُولُهَا أَحَدُنَا لِأَخِيهِ وَصَاحِبِهِ إِذَا غَضِبَ. قَالَ: فَلَا تَقُلْهَا، فَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلَانِ، كَانَ أَحَدُهُمَا مُجْتَهِدًا فِي الْعِبَادَةِ، وَكَانَ الْآخَرُ مُسْرِفًا عَلَى نَفْسِهِ، فَكَانَا مُتَآخِيَيْنِ، فَكَانَ الْمُجْتَهِدُ لَا يَزَالُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى ذَنْبٍ، فَيَقُولُ: يَا هَذَا، أَقْصِرْ. فَيَقُولُ: خَلِّنِي

---

[67] - شرح النووي على مسلم (14/ 241)

[68] - أخرجه مسلم (14/ 241) رقم 153 - (2244)

[69] - عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " دخلت امرأة النار في هرة، ربطتها، فلم تطعمها، ولم تسقها، ولم ترسلها فتأكل من خشاش الأرض " أخرجه البخاري (3318) ، ومسلم (2242)

[70] أخرجه مسلم (4/ 2023) رقم 137 - (2621)

وَرَبِّي، أَبُعِثْتَ عَلَي رَقِيبًا؟ " قَالَ: " إِلَى أَنْ رَآهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ اسْتَعْظَمَهُ، فَقَالَ لَهُ: وَيْحَكَ، أَقْصِرْ. قَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي، أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا "، قَالَ: " فَقَالَ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لَكَ، أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللهُ الْجَنَّةَ أَبَدًا. قَالَ أَحَدُهُمَا ، قَالَ: فَبَعَثَ اللهُ إِلَيْهِمَا مَلَكًا، فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا، وَاجْتَمَعَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: ادْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي. وَقَالَ لِلْآخَرِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا، أَكُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا ، اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ ". قَالَ: " فَوَالَّذِي نَفْسُ أَبِي الْقَاسِمِ بِيَدِهِ، لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ [71]"

الشرح :

متآخيين : [في رواية أبي داود (مُتَوَاخِيَيْنِ)] : أَيْ مُتَقَابِلَيْنِ فِي الْقَصْدِ وَالسَّعْيِ فَهَذَا كَانَ قَاصِدًا وَسَاعِيًا فِي الْخَيْرِ وَهَذَا كَانَ قَاصِدًا وَسَاعِيًا فِي الشَّرِّ.

(أَقْصِرْ) مِنَ الْإِقْصَارِ وَهُوَ الْكَفُّ عَنِ الشَّيْءِ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ .

(أَبُعِثْتَ) بِهَمْزَةِ الِاسْتِفْهَامِ وَبِصِيغَةِ المجهول .

(أو بقت دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ) فِي الْقَامُوسِ أَوْبَقَهُ أَهْلَكَهُ أَيْ أَهْلَكَتْ تِلْكَ الْكَلِمَةُ مَا سَعَى فِي الدُّنْيَا وَحَظِّ الْآخِرَةِ ".[72]

6- إِظْهَارُ الصَّلَاحِ أَمَامَ النَّاسِ وَارْتِكَابُ الْمُحَرَّمَاتِ فِي غِيَابِهِمْ

عَنْ ثَوْبَانَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: **«لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا» ، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا [73]»**

---

[71] - إسناده حسن، : أخرجه أحمد ط الرسالة (14/ 46) رقم 8292 وأبو داود (4901) وابن حبان (5712) ، والبيهقي في "الشعب" (6689)

[72] - عون المعبود وحاشية ابن القيم (13/ 166- 167)

[73] -أخرجه ابن ماجه 4245 والروياني في مسنده 651 والطبراني في المعجم الأوسط 4632 وفي المعجم الصغير 662 وفي مسند الشاميين 680

شرح :

(هباء منثورا) : قال بن عباس الهباء ما تسفي به الريح وقال غيره ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار. وليس له مس ولا يرى في الظل ؛ وروى بن أبي حاتم من طريق الحسن البصري نحوه وزاد لو ذهب أحدكم يقبض عليه لم يستطع [74].

وَقَالَ الثَّعْلَبِيّ : هباءً منثوراً، أَي: بَاطِلا لَا ثَوَاب لَهُ لأَنهم لم يعملوه لله، وَإِنَّمَا عملوه للشَّيْطَان[75].

(جلهم لنا) بالجيم من التجلية، أي: اكشف مالهم لنا

(من جلدتكم) أي من جنسكم.

(ويأخذون من الليل كما تأخذون) أي يأخذون من عبادة الليل نصيبا.[76]

7- عقاب الغازي والعالم والجواد إذا كان فعلهم لغير الله :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ [77]، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ،

.صحيح [صَحِيح الْجَامِع: 7174 , الصَّحِيحَة: 505]

[74] - فتح الباري لابن حجر (1/ 200) و (8/ 490)

[75] - عمدة القاري شرح صحيح البخاري (19/ 93)

[76] - حاشية السندي على سنن ابن ماجه (2/ 561)

[77] - وفي رواية عند غير مسلم : (وتقول له الملائكة: كذبت)

قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ " [78].

وفي الحديث [79]: إن معاوية لما بلغه هذا الحديث، بكى حتى غشي عليه، فلما أفاق، قال: صدق الله ورسوله، قال الله عز وجل: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [هود: 15، 16]

الفوائد المستنبطة :

- (قوله صلى الله عليه وسلم في الغازي والعالم والجواد وعقابهم على فعلهم ذلك لغير الله وإدخالهم النار)- دليل على تغليظ تحريم الرياء وشدة عقوبته وعلى الحث على وجوب الإخلاص في الأعمال كما قال الله تعالى {وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين}

- وفيه أن العمومات الواردة في فضل الجهاد إنما هي لمن أراد الله تعالى بذلك مخلصا وكذلك الثناء على العلماء وعلى المنفقين في وجوه الخيرات كله محمول على من فعل ذلك لله تعالى مخلصا " [80].

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ [81] رَضِيَ اللَّهُ تعالى عَنْهُ :" أَلْفَاظُ الْوَعِيدِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ كُلُّهَا مَقْرُونَةٌ بِشَرْطٍ وَهُوَ إِلَّا أَنْ يَتَفَضَّلَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا عَلَى مُرْتَكِبِ تِلْكَ الْخِصَالِ بِالْعَفْوِ وَغُفْرَانِ تِلْكَ الْخِصَالِ دُونَ العقوبة عليها .

وكل ما في الكتاب والسنن من ألفاظ الوعد مقرونة بشرط : وهو إلا أن يرتكب عاملُها ما يستوجب به العقوبة على ذلك الفعل حتى يعاقب إن لم يتفضل عليه بالعفو ثم يعطى ذلك الثواب الذي وعد به من أجل ذلك الفعل ".

---

[78] - أخرجه مسلم (3/ 1513) رقم 152 - (1905)

[79] -أخرجه الترمذي 2382وابن خزيمة 2482 و ابن حبان 408

صحيح [((التعليق الرغيب)) (1/ 29 - 30) صحيح وضعيف سنن الترمذي (5/ 382، بترقيم الشاملة آليا)

والتعليق على بن خزيمة (2482)]

[80] - المنهاج في شرح النووي على مسلم (13/ 51)

[81] - صحيح ابن حبان - محققا (2/ 138 - 139)

وقد ورد الوعيد على تعلم العلم لغير وجه الله، كما خرجه الإمام أحمد [82] وأبو داود [83]وابن ماجه [84]من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من تعلم علما مما يبتغَى به وجه الله، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا، لم يجد عَرف الجنة يوم القيامة» يعني: ريحها.

وقال صلى الله عليه وسلم : «من تعلم العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله جهنم» [85].

---

[82] - 8457

[83] - 3664

[84] - 252 وصحح الشيخ الألباني إسناده [صحيح الجامع 6159 وصحيح والتعليقات الحسان على صحيح ابن حبان 78]

[85] -أخرجه ابن ماجه 253 و 260 وقال الشيخ الألباني : حسن [المشكاة (225 و 226) ، التعليق الرغيب (1 / 68) . اقتضاء العلم 102. صحيح الجامع الصغير وزيادته (2/ 1060)]

مواقف السلف من سوء الخاتمة وهول المطلع :

كان السلف الصالح رضوان الله عليهم – وهم من هم - يخافون من سوء الخاتمة وهول المطلع فكانوا يعيشون بين الخوف والرجاء .

فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يسير بين الرجاء والخوف يقول:" لو نادى مناد من السماء: أيها الناس إنكم داخلون الجنة كلكم أجمعون إلا رجلاً واحدًا، لخفت أن أكون هو، ولو نادى مناد: أيها الناس إنكم داخلون النار إلا رجلاً واحدًا لرجوت أن أكون هو "[86].

لما طعن الفاروق وحضرته الوفاة دخل عليه ابن عباس رضي الله عنه وقال له يواسيه ويخفف عنه : " لَقَدْ صَحِبْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُ، ثُمَّ فَارَقْتَهُ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ، ثُمَّ صَحِبْتَ أَبَا بَكْرٍ فَأَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُ، ثُمَّ فَارَقْتَهُ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ، ثُمَّ صَحِبْتَ صَحَبَتَهُمْ فَأَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُمْ، وَلَئِنْ فَارَقْتَهُمْ لَتُفَارِقَنَّهُمْ وَهُمْ عَنْكَ رَاضُونَ، قَالَ: «أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ صُحْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرِضَاهُ، فَإِنَّمَا ذَاكَ مَنٌّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى مَنَّ بِهِ عَلَيَّ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ صُحْبَةِ أَبِي بَكْرٍ وَرِضَاهُ ، فَإِنَّمَا ذَاكَ مَنٌّ مِنَ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ مَنَّ بِهِ عَلَيَّ، وَأَمَّا مَا تَرَى مِنْ جَزَعِي فَهُوَ مِنْ أَجْلِكَ [87] وَأَجْلِ أَصْحَابِكَ، وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ لِي طِلاَعَ الأَرْضِ[88] ذَهَبًا لاَفْتَدَيْتُ بِهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَبْلَ أَنْ أَرَاهُ [89]»

وفي رواية [90]: قال ابن عباس فقلت له : أبشر بالجنة، صاحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأطلت صحبته، ووليت أمر المؤمنين فقويت وأديت الأمانة. فقال: أما تبشيرك إياي بالجنة ، فوالله لو أن لي الدنيا بما فيها لافتديت به من هول ما أمامي قبل أن أعلم الخبر، وأما قولك في أمر المؤمنين، فوالله لوددت أن ذلك كفافا ، لا لي ولا علي ".

---

[86] - حلية الأولياء 53/1

[87] - (من أجلك) أي جزعي من أجلك وأجل أصحابك قيل قال ذلك لما توقعه من فتن تكون بعده لأن قتله يشعر بذلك.

[88] - (طلاع الأرض) ما يملأ الأرض حتى يطلع ويسيل.

[89] - صحيح البخاري (5/ 12)رقم 3692

[90] - أخرجها أحمد ط الرسالة (1/ 408)رقم 322

وفي رواية أخرى قال عمر :" أعد عليَّ، فأعدت عليه، فقال: والله الذي لا إله إلا هو، لو أن لي ما في الأرض من صفراء وبيضاء لافتديت به من هول المطلع".

و يحدثنا عثمان رضي الله عنه عن اللحظات الأخيرة في حياة الفاروق، فيقول: أنا آخركم عهدًا بعمر، دخلت عليه ، ورأسه في حجر ابنه عبد الله بن عمر فقال له : ضع خدي بالأرض، قال: فهل فخذي والأرض إلا سواء؟ قال ضع خدي بالأرض لا أمَّ لك، في الثانية أو في الثالثة، ثم شبك بين رجليه، فسمعته يقول: ويلي، وويل أمي إن لم يغفر الله لي حتى فاضت روحه ".. فهذا مثل مما كان يتصف به أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه من خشية الله تعالى، حتى كان آخر كلامه الدعاء على نفسه بالويل إن لم يغفر الله جل وعلا له ، مع أنه أحد العشرة المبشرين بالجنة ، **ولكن من كان بالله أعرف كان من الله أخوف**، وإصراره على أن يضع ابنه خده على الأرض من باب إذلال النفس في سبيل تعظيم الله عز وجل، ليكون ذلك أقرب لاستجابة دعائه، وهذه صورة تبين لنا قوة حضور قلبه مع الله جل وعلا " [91] وإن في هذا الموقف لدرسًا بليغًا للمسلمين عامة في تذكر عذاب الله الشديد وأهوال يوم القيامة.

وعن عروة عن أبيه قال: كنت إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة أسلم عليها، فغدوت يومًا فإذا هي قائمة تقرأ: { فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ }[92] وتدعو وتبكي وترددها. فقمت حتى مللت القيام ؛ فذهبت إلى السوق لحاجتي ثم رجعت فإذا هي قائمة كما هي، تصلي وتبكي [93].

ولما حضرت عائشة الوفاة وعَلم ابن عباس بالنبأ أسرع لعيادتها اعترافًا بحق أمومتها، فوجد عند الباب ذكوان، فطلب إليه أن يستأذن له منها في الدخول، ودخل ذكوان، فوجد عند رأسها أخاها عبد الرحمن، فقال ذكوان : هذا ابن عباس يستأذن . فأكبّ عليها ابن أخيها فقال : هذا عبد الله بن عباس يستأذن. ولكنها كانت في لحظاتها الأخيرة، مشغولة بمناجاة ربها، وكانت تعلم أن ابن عباس يثني عليها وهي تكره الثناء والإطراء، فقالت لابن أخيها: دعني من ابن عباس، لاَ حَاجَةَ لِي بِهِ.

وألح عليها ابن أخيها فقال : يا أماه ! إِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ مِنْ صَالِحِي بَنِيكَ جَاءَكِ يَعُودُكِ . قَالَتْ : فَأْذَنْ لَهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: يَا أُمَّاهُ أَبْشِرِي! فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَكِ وَبَيْنَ أَنْ تَلْقِي مُحَمَّدًا -صلى الله عليه

---

[91] - البخاري، كتاب فضائل الصحابة، رقم 3692. صحيح التوثيق في سيرة وحياة الفاروق ص383. التاريخ الإسلامي (33/19، 44 - 45) .

وانظر كذلك سيرة ومناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ص 249 لممد حامد محمد

[92] -الطور آية 27

[93] -- صفوة الصفوة 229/2

وسلم- وَالأَحِبَّةَ إِلاَّ أَنْ تُفَارِقَ رُوحُكِ جَسَدَكِ، كُنْتِ أَحَبَّ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- إِلَيْهِ، وَلَمْ يَكُنْ يُحِبُّ رَسُولُ اللَّهِ إِلاَّ طَيِّبَةً.

قَالَتْ: وَأَيْضًا ؟ قَالَ: هَلَكَتْ قِلاَدَتُكِ بِالأَبْوَاءِ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-، فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً، فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا، فَكَانَ ذَلِكَ بِسَبَبِكِ وَبَرَكَتِكِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ مِنَ الرُّخْصَةِ، وكَانَ مِنْ أَمْرِ مِسْطَحٍ مَا كَانَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ بَرَاءَتَكِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ ، فَلَيْسَ مَسْجِدٌ يُذْكَرُ فِيهِ اللَّهُ إِلاَّ وَشَأْنُكِ يُتْلَى فِيهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ.

فَقَالَتْ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، دَعْنِي مِنْكَ وَمِنْ تَزْكِيَتِكَ، فَوَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا !. ثم دخل عليها ابن الزبير فقالت له: أثنى عليَّ عبد الله بن عباس، ولم أكن أحب أن أسمع أحدًا يُثني علي، لوددت أني كنت نِسيًا منسيًّا، ياليتني كنت شجرة أسبّح وأقضي ما علي.[94].

وأَوْصَتْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: لَا تَدْفِنِّي مَعَهُمْ (تقصد النبي -صلى الله عليه وسلم- وأبا بكر وعمر)، وَادْفِنِّي مَعَ صَوَاحِبِي بِالْبَقِيعِ، لَا أُزَكَّى بِهِ أَبَدًا "[95]

- ولما احتضر سلمان رضي الله عنه بكى، فقال سعد: ما يبكيك يا أخي؟ أليس قد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ أليس ؟ أليس؟ قال سلمان: ما أبكي واحدة من اثنتين، ما أبكي ضنًا للدنيا ولا كراهية للآخرة، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلي عهدًا فما أراني إلا قد تعديت، يعني خالفت الوصية النبوية، قال: وما عهد إليك؟ قال: عهد إلي أنه يكفي أحدكم مثل زاد الراكب، يكفي من الدنيا أنك تأخذ مثل زاد المسافر، بس، ولا أراني إلا قد تعديت، يعني أنا قد زدت على زاد المسافر، وأما أنت يا سعد فاتق الله عند حكمك إذا حكمت، وعند قسمك إذا قسمت، وعند همك إذا هممت، قال ثابت : فبلغني أنه - يعني سلمان - ما ترك إلا بضعة وعشرين درهمًا من نفقة كانت عنده[96] .

- أَمَّا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ لما حَضَرَتْه الْوَفَاةُ بَكَى، فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ عَبْدُ اللهِ : لِمَ تَبْكِي ، أَجَزَعًا عَلَى الْمَوْتِ؟ فَقَالَ: لَا وَاللهِ، وَلَكِنْ مِمَّا بَعْدُ. فَقَالَ لَهُ: قَدْ كُنْتَ عَلَى خَيْرٍ، فَجَعَلَ يُذَكِّرُهُ صُحْبَةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفُتُوحَهُ الشَّامَ، فَقَالَ عَمْرٌو: تَرَكْتَ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، إِنِّي كُنْتُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَطْبَاقٍ لَيْسَ فِيهَا طَبَقٌ إِلَّا قَدْ عَرَفْتُ نَفْسِي فِيهِ : كُنْتُ أَوَّلَ شَيْءٍ كَافِرًا، وَكُنْتُ أَشَدَّ النَّاسِ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَوْ مِتُّ حِينَئِذٍ وَجَبَتْ لِي النَّارُ، فَلَمَّا " بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُنْتُ أَشَدَّ النَّاسِ حَيَاءً مِنْهُ، فَمَا مَلَأْتُ عَيْنِي مِنْ رَسُولِ اللهِ

---

[94] - موقع ملتقى الخطباء .

[95] - أخرجه البخاري (2/ 103)رقم 1391

ش (معهم) مع النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه. (صواحبي) أمهات المؤمنين زوجات النبي صلى الله عليه وسلم. (بالبقيع) مقبرة أهل المدينة. (لا أزكى به أبدا) حتى لا يكون لي بسبب دفني معهم مزية وفضل دائم ربما لا أستحقه]

[96] -رواه ابن ماجه: 4104، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه:3312[،

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا رَاجَعْتُهُ فِيمَا أُرِيدُ حَتَّى لَحِقَ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ حَيَاءً مِنْهُ "، فَلَوْ مِتُّ يَوْمَئِذٍ قَالَ النَّاسُ: هَنِيئًا لِعَمْرٍو، أَسْلَمَ وَكَانَ عَلَى خَيْرٍ، فَمَاتَ فَرُجِيَ لَهُ الْجَنَّةُ، ثُمَّ تَلَبَّسْتُ بَعْدَ ذَلِكَ بِالسُّلْطَانِ وَأَشْيَاءَ، فَلَا أَدْرِي عَلَيَّ أَمْ لِي، فَإِذَا مِتُّ فَلَا تَبْكِيَنَّ عَلَيَّ وَلَا تُتْبِعْنِي مَادِحًا وَلَا نَارًا، وَشُدُّوا عَلَيَّ إِزَارِي فَإِنِّي مُخَاصِمٌ، وَسُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ سَنًّا، فَإِنَّ جَنْبِيَ الْأَيْمَنَ لَيْسَ بِأَحَقَّ بِالتُّرَابِ مِنْ جَنْبِي الْأَيْسَرِ، وَلَا تَجْعَلَنَّ فِي قَبْرِي خَشَبَةً وَلَا حَجَرًا، فَإِذَا وَارَيْتُمُونِي فَاقْعُدُوا عِنْدِي قَدْرَ نَحْرِ جَزُورٍ وَتَقْطِيعِهَا، أَسْتَأْنِسْ بِكُمْ [97].

وعن إبراهيم التيمي قال :" لقد أدركت ستين من أصحاب عبد الله في مسجدنا هذا ؛ أصغرهم الحارث بن سويد وسمعته يقرأ : { إذا زلزلت } حتى بلغ : { فمن يعمل مثقالذرة خيرا يره } قال : فيبكي ثم يقول : إن هذا لإحصاء شديد " . [98]

ومن أسباب جزع بعض الصالحين عند الموت : الخوف من الذنوب والتفريط في جنب الله .

قال عبد العزيز بن أبي روَّاد: حضرت رجلاً عند الموت يُلَقَّنُ لا إله إلا الله، فقال في آخر ما قال: هو كافرٌ بما تقول، ومات على ذلك، قال: فسألتُ عنه، فإذا هو مدمنُ خمرٍ. فكان عبد العزيز يقول: اتقوا الذنوب، فإنَّها هي التي أوقعته.

وفي الجملة: فالخواتيم ميراثُ السوابق، وكلُّ ذلك سبق في الكتاب السابق، ومن هنا كان يشتدُّ خوف السَّلف من سُوءِ الخواتيم ، ومنهم من كان يقلق من ذكر السوابق .

وقد قيل : إنَّ قلوب الأبرار معلقةٌ بالخواتيم ، يقولون: بماذا يختم لنا ؟ وقلوب المقرَّبين معلقة بالسوابق، يقولون : ماذا سبق لنا.

وبكى بعضُ الصحابة عند موته ، فسئل عن ذلك، فقال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: ((إنَّ الله تعالى قبضَ خلقَهُ قبضتين، فقال: هؤلاء في الجنَّةِ، وهؤلاء في النار)) ،[99] ولا أدري في أيِّ القبضتين كنت.

---

[97] - انظر مسند أحمد ط الرسالة (29/ 318)رقم 17780 وصحيح مسلم (121) (192)

قال السندي: "وسُنُّوا" بضم السين المهملة وتشديد النون، من السَن: بمعنى الصَّب في سهولة، أي: ضعوه وضعاً سهلاً، والشَّن- بالمعجمة- بمعنى التفريق، وهو أيضاً مناسب. "واريتموني"، أي: دفنتموني.[مسند أحمد ط الرسالة (29/ 319)تح الأرنؤوط]

[98] - أخرجه أبو نعيم في الحلية 127/4

[99] - حديث صحيح أخرجه: أحمد 176/4 و68/5 من طريق سعيد الجريري، عن أبي نضرة، به.

وأخرجه: البزار كما في " كشف الأستار " (2142) من حديث أبي سعيد الخدري، به.

وأخرجه: أبو يعلى (3422) بنحوه من حديث أنس بن مالك، به.

وقال حاتم الأصم : من خلا قلبُه من ذكر أربعة أخطار، فهو مغتر، فلا يأمن الشقاء :
الأول: خطر يوم الميثاق حين قال: هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي، فلا يعلم في أي الفريقين كان .
والثاني : حين خلق في ظلمات ثلاث، فنودي الملَك بالسعادة والشقاوة، ولا يدري: أمن الأشقياء هو أم من السعداء؟
والثالث : ذكر هول المطلع، ولا يدري أيبشر برضا الله أو بسخطه؟
والرابع: يوم يصدر الناس أشتاتا، ولا يدري، أي الطريقين يسلك به .

وقال سهل التستري : " المريد يخاف أن يُبتلى بالمعاصي، والعارف يخاف أن يبتلى بالكفر".
ومن هنا كان الصحابة ومن بعدهم من السلف الصالح يخافون على أنفسهم النفاق ويشتد قلقهم وجزعهم منه ، فالمؤمن يخاف على نفسه النفاق الأصغر، ويخاف أن يغلب ذلك عليه عند الخاتمة ، فيخرجه إلى النفاق الأكبر ... وأن دسائس السوء الخفية توجب سوء الخاتمة ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في دعائه: " **«يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك " فقيل له: يا نبي الله آمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا ؟ فقال: " نعم إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله عز وجل يقلبها كيف شاء» "**

خرجه الإمام أحمد[100] والترمذي [101]من حديث أنس.

وخرج الإمام أحمد [102]من حديث أم سلمة أن «النبي صلى الله عليه وسلم كان يكثر في دعائه أن يقول: " **اللهم يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك " فقلت: يا رسول الله، أو إن القلوب لتتقلب؟ قال: " نعم؛ ما من خلق الله تعالى من بني آدم من بشر إلا أن قلبه بين أصبعين من أصابع الله، فإن شاء عز وجل، أقامه، وإن شاء أزاغه، فنسأل الله ربنا أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب " قالت: قلت: يا رسول الله، ألا تعلمني دعوة أدعو بها لنفسي؟ قال: " بلى، قولي اللهم رب النبي محمد، اغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن ما أحييتني»** ، وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة.

---

[100] - مسند أحمد ط الرسالة (19/ 160)رقم 12107

[101] -2140 وصححه الشيخ الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (5/ 140، بترقيم الشاملة آليا) ؛ صحيح، ابن ماجة (3834) ؛ صحيح وضعيف سنن ابن ماجة (8/ 334، بترقيم الشاملة آليا) و صحيح الظلال (225) ، تخريج الإيمان لابن أبى شيبة (55 - 58)]

[102] -26576 وقال شعيب الأرنؤوط : بعضه صحيح بشواهده [مسند أحمد ط الرسالة (44/ 201)]

وخرج مسلم [103] من حديث عبد الله بن عمرو قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **«إن قلوب بني آدم كلَّها بين أصبعين من أصابع الرحمن عز وجل كقلب واحد يصرفه حيث يشاء "**، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم**: اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك»**[104]

هكذا كان السلف الصالح يعيش بين الخوف والرجاء . " فلا يقطع النظر في الرجاء عن الخوف، ولا في الخوف عن الرجاء، لئلا يفضي في الأول إلى المكر، وفي الثاني إلى القنوط، وكل منهما مذموم ، والمقصود من الرجاء أن من وقع منه تقصير فليحسن ظنه بالله ويرجو أن يمحوعنه ذنبه ، وكذا من وقع منه طاعة يرجو قبولها، وأما من انهمك على المعصية راجيا عدم المؤاخذة بغير ندم ولا إقلاع، فهذا في غرور، وما أحسن قول أبي عثمان الجيزي: **من علامة السعادة أن تطيع وتخاف أن لا تقبل، ومن علامة الشقاء أن تعصي وترجو أن تنجو.**

وهذا كله متفق على استحبابه في حالة الصحة ، وقيل : الأوْلى أن يكون الخوف في الصحة أكثر وفي المرض عكسه، وأما عند الإشراف على الموت فاستحب قوم الاقتصار على الرجاء لما يتضمن من الافتقار إلى الله تعالى، ولأن المحذور من ترك الخوف قد تعذر، فيتعين حسن الظن بالله برجاء عفوه ومغفرته، ويؤيده حديث : لا يموتَنَّ أحدُكم إلا وهو يحسن الظن بالله [105].

وقال آخرون: لا يهمل جانب الخوف أصلا بحيث يجزم بأنه آمن، ويؤيده ما أخرج الترمذي[106] عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال له: كيف تجدك؟ فقال: أرجو الله وأخاف ذنوبي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يجتمعان في قلب عبد في هذا الموطن الا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف".[107] اهـ.

---

[103] - صحيح مسلم (4/ 2045) رقم 17 - (2654)

[104] - للمزيد راجع : جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط (1/ 174 - 175)

[105] -أخرجه مسلم 81؛82 (2877)

[106] - أخرجه الترمذي 983 وابن ماجه 4261 وحسنه الشيخ الألباني انظر [صحيح وضعيف سنن ابن ماجة (9/ 261، و أحكام الجنائز ص (3) ، المشكاة (1612) ، الصحيحة (1051)]

[107] - 11/301تح الباري لابن حجر

فالمؤمن الذي وفقه الله هو الذي يعمل العمل ويجتهد غير أنه لا يتكل عليه ؛ فهو يرجو رحمة الله ويحذر الآخرة كما قال تعالى : {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ} [الزمر: 9]

قال ابن كثير[108] : قوله { يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ } أي: في حال عبادته خائف راجٍ ، ولا بد في العبادة من هذا وهذا، وأن يكون الخوف في مدة الحياة هو الغالبَ ، ولهذا قال :{ يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ }. فإذا كان عند الاحتضار فليكن الرجاء هو الغالبَ عليه .اهـ.

إذن المؤمن الموفق هو الذي يعيش بين الرجاء والخوف : فهو يعمل الطاعات ويجتهد فيها لكنه لا يتكل عليها لكي لا يصيبه الغرور فيحبط عمله . إنه يعمل بجد ويحسن الظن بالله تعالى ؛ ويعتقد جازما أن التوفيق والسداد من الله تعالى .

قال تعالى : { ... وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} [هود: 88]

وقال : {فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [البقرة: 64]

وقال كذلك : {... وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عليم } [النور: 21]

قال الشيخ ابن عثيمين رحمة الله تعالى عليه[109] :" الاتكال على رحمة الله يسبب مفسدة عظيمة هي الأمن من مكر الله . وكذلك القنوط من رحمة الله ، يبعد الإنسان من التوبة ، ويسبب اليأس من رحمة الله ، ولهذا قال الإمام أحمد : " ينبغي أن يكون سائراً إلى الله بين الخوف والرجاء ، فأيهما غلب هلك صاحبه " .

فإذا غلب الرجاء أدى ذلك إلى الأمن من مكر الله، وإذا غلب الخوف أدى ذلك إلى القنوط من رحمة الله.

---

[108] - تفسير ابن كثير ت سلامة (7/ 88)

[109] القول المفيد على كتاب التوحيد (1/ 56)

وقال بعض العلماء : إن كان مريضا غلَّب جانب الرجاء، وإن كان صحيحا غلب جانب الخوف.
وقال بعض العلماء : إذا نظر إلى رحمة الله وفضله غلَّب جانب الرجاء ، وإذا نظر إلى فعله وعمله غلَّب جانب الخوف لتحصل التوبة .

ويستدلون بقوله تعالى : {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ } [المؤمنون: 60] أي: خائفة أن لا يكون تقبل منهم لتقصير أو قصور، وهذا القول جيد، وقيل: يغلب الرجاء عند فعل الطاعة ليحسن الظن بالله، ويغلِّب جانب الخوف إذا هم بالمعصية؛ لئلا ينتهك حرمات الله " .

وقال الفضيل بن عياض :" ما دمت حيا فلا يكن شيء عندك أخوف من الله عز وجل , وإذا نزل بك الموت فلا يكن عندك شيء أرجى من الله عز وجل ".[110] .

[110] - العاقبة 146

الفهرس

مقدمة : 2
حديث الرجل الذي يعمل عمل أهل الجنة وهو من أهل النار 5
سبب ورود الحديث 5
شرح الحديث: 6
فوائد الحديث 7
العمل وحده لا يجعل العبد مستحقا للجنة وموجبا لها 10
حديث ليس أحد منكم بمنجيه عمله : 10
شرح الحديث : 10
فَوَائِدُ الحديث : 12
كَيْفَ الْجَمْعُ بَيْنَ هَذَا الحديث 14
نصوص ذات صلة 15
1- حديث : إن أحدكم يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ فِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا 15
فوائد الحديث : 15
2- قصة الراهب برصيصا : 18
3- الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسا ثم تاب ودخل الجنة 19
فوائد الحديث 19
4- المرأة البغي التي سقت كلبا من بئر: 21
الفوائد المستنبطة من الحديث : 21
5- أخوان في الله أحدهما عابد والآخر مسرف على نفسه ؛ 22
حلف العابد أن لا يدخل المسرف الجنة ؛ فأدخل الله العابد النار والمذنب الجنة 22
6- إِظْهَارُ الصَّلَاحِ أَمَامَ النَّاسِ وَارْتِكَابُ الْمُحَرَّمَاتِ فِي غِيَابِهِمْ 23
7- عقاب الغازي والعالم والجواد إذا كان فعلهم لغير الله : 24
الفوائد المستنبطة : 25
مواقف السلف من سوء الخاتمة وهول المطلع : 27